لعبة البدائل الاميركية:
صيغة لـ «اطار اقليمي»

صارت مسألة عقد المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الاوسط، بصرف النظر عن مؤشراتها الآنية، التي تتراوح بين الصعود والهبوط، والتأييد والرفض، أحد العناصر المكونة للمفهوم السياسي الغربي في ما يتعلق بالبعد الاستراتيجي للمنطقة برمّتها. والمقصود، هنا، سياسة الدول التي تميل كلياً، أو جزئياً، علانية، أو مواربة، الى اسرائيل، وأبرزها الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا وفرنسا، الأعضاء الدائمون في مجلس الأمن الدولي.

فالمفهوم لدى هذه الدول، ولدى عددٍ آخر غير قليل أقلّ شأناً في مجال التأثير السياسي، يتجاوز ـ على ما يبدو ـ الحدس بدرجات. وفي هذا الصدد، يعتقد مراقبون سياسيون، بينهم من تبوّأ مناصب دبلوماسية هامة وخدم في المنطقة فجنى خبرة سياسية ـ عملية، بأن التشكّل الجديد مصدره الاحداث المتلاحقة التي أعادت رسم خارطة موازين القوى في المنطقة، وخصوصاً ارتفاع مؤشر عامل القوة الفلسطيني، مجدداً، بعد ان كان خبا، لفترة، نتيجة حرب العام ١٩٨٢، وفتح المجال لأطراف عربية عدة، مدعومة بأطراف دولية، لأن تتنازع معه، وفيما بينها أيضاً، على احتواء المستقبل الفلسطيني. فالتجارب، في هذا المجال، خلقت اقتناعاً بأن تصفية الجسم السياسي ـ العسكري الفلسطيني، المتمثل في منظمة التحرير الفلسطينية، باتت مسألة غير قابلة للتحقيق، وبالتالي التفكير فيها غير واقعي ويستند الى تصور على غير اقتدار. وللبرهنة على هذا، فهم يسوقون الامثلة الحيّة التالية:

○ تعاظم القوة العسكرية الفلسطينية، والعودة السريعة، نسبياً، الى لبنان بقوة شبيهة بتلك التي كانت لدى م.ت.ف. قبل الحرب التي شنتها اسرائيل ضدها في العام ١٩٨٢.

○ استعادة الوحدة الوطنية الفلسطينية، التي دعمت القدرة السياسية، والعسكرية، في مواجهة المخططات المضادة لطموحات الفلسطينيين.

○ استعادة المكانة السياسية الدولية التي كانت م.ت.ف. تحظى بها من قبل؛ وآخر المؤشرات، على هذا الصعيد، توطّد العلاقات الفلسطينية ـ السوفياتية وزيارة رئيس اللجنة التنفيذية، ياسر عرفات، لموسكو، بعد فترة انقطاع غير معهودة استمرت اربع سنوات.

○ بقاء الولاء الشعبي الفلسطيني في الارض المحتلة، فضلاً عن الشتات، على حاله المؤيد لـ م.ت.ف. حتى في فترة تراجعها المرحلي، ثم تصاعده، طردياً، مع ارتفاع أسهم الوضعين، السياسي والعسكري، الفلسطينيين. وهذا الواقع حال دون تمكن أي طرف عربي، وأجنبي، من تحقيق تغيير قادر على خلق بدائل مؤهلة للتحدث باسم الفلسطينيين بمنأى عن م.ت.ف. أو بدون موافقتها. وكل «الجهود التي بذلت [في هذا الشأن] من قبل الاسرائيليين والاردنيين والسوريين... قد أخفقت» (روبرت نيومان، «مفتاح النجاح السوفياتي في الشرق الاوسط»، **انترناشيونال هيرالد تربيون**، ٣٠/١٠/١٩٨٧، ص ٤).

بناء على ما تقدم، يعتقد هؤلاء المراقبون، أيضاً، بأنه «ليست هناك دولة عربية واحدة؛ لا الاردن، ولا سوريا، ولا حتى مصر، بقادرة على الموافقة على تسوية حول مصير الاراضي [المحتلة]. فالفلسطينيون هم، وحدهم، القادرون على اضفاء الشرعية على خطوكهذه. والفلسطينيون هؤلاء هم في م.ت.ف.» (**المصدر نفسه**). وهو اعتقاد